التربية و الاخلاق عند هربرت سبنسر

أ.م.د.نسرين خليل حسين
الجامعة المستنصرية، كلية التربية

المستخلص

اشتهر سبنسر بمذهبه الاخلاقي الذي عرف به سبنسر (النشوء و الارتقاء) إذ نراه قد تعامل مع الظاهرة الأخلاقية من حيث كونها ظاهرة من ظواهر التطور ، إذ عّد الاخلاق من نظام كوني خاضع للتطور ، و كلما تطور الكل كان ذلك دليلاً على تطور الاجزاء والاخلاق تقع ضمن إطار الانسانية و الانسانية جزء من هذا الكون بمجموعته الشمسية وبما ظهر على سطح الارض بكل مكوناته . لذلك كان الاحرى ان تتطور الاخلاق بتطور الموجودات التي يشملها هذا الكون .

و رمى البحث الى التعرف على المبادئ الاساسية التي وضعها سبنسر في التربية الاخلاقية والتي تهدف الى جعل السلوك الاخلاقي الجيد هو السلوك الذي يطوّر حياة الفرد و الاخرين . وهذا لا يحدث الا باستخدام التربية الذاتية او ما يسميه سبنسر الرادع الذاتي وتوصل البحث الى هربرت سبنسر قام بتطبيق اراءه الاخلاقية والتربوية على اساس فلسفته التطورية.

الكلمات المفتاحية: التربية ، الاخلاق ، هربرت سبنسر

Education and morals according to Herbert Spencer

Nasren khalel Hussein
Mustansiriyah University , College of Education

Abstrac

Spencer was famous for his ethical doctrine, which was known for (evolution and aascension). As we see him dealing with the moral phenomenon in terms of it being a phenomenon of development, as he considered morality to be a universal system subject to development, and whenever the whole develops, this is evidence of the development of the parts, and morality falls within The framework of humanity and humanity is part of this universe with its solar system and what appeared on the surface of the Earth with all its components. Therefore, it would have been better for morals to develop with the development of the beings included in this universe.

The research aimed to identify the basic principles established by Spencer in moral education, which aim to make good moral behaviour the one that develops the lives of the individual and others. This only happens by using self-education or what Spencer calls self-deterrent. The research led to Herbert Spencer applying his moral and educational views based on his evolutionary philosophy.

Keywords: education, ethics, Herbert Spencer.

المقدمة

لا شك أن التربية والأخلاق أصلها ومنبعها هي الاسرة والتي تمثل حجر الأساس في المجتمع البشري، ومن الصعب الحصول على مجتمع متماسك ومتحضر بالقيم والمبادئ دون إصلاح واقع الأسرة، لذلك تعتبر الأسرة هي نواة المجتمع، لأنه مجتمع مصغر لمجتمع كبير.

وكُلما كانت الأسرة قدوة حسنه كلما انعكس ذلك على الأخلاق والتربية الذين هم جزء من هذا المجتمع الكبير.

ويعتبر بحثنا حول التربية والأخلاق وهي من الميادين والمحاور الأساسية في فلسفة هربرت سبنسر، وقام ببناء فلسفته التربوية على أساس أفكاره التطورية والتي أصبحت محوراً رئيسياً من محاور الفكر التربوي والأخلاقي المعاصر.

لذلك عند اختيارنا لهذه الدراسة لأهميتها الضرورية لأنها تتعلق بالتربية والأخلاق والإصلاح ولارتباطها الوثيق في التربية والتعليم، وكلما تحضر المجتمع بالقيم والأخلاق والعلم كلما أرتقى بأفراده، لذلك الهدف من هذه الدراسة واختيارها هي لأنها تعتبر سلاح يتسلح به المربين والأساتذة في تغيير الحياة نحو الأفضل والاحسن حياة مليئة بالعمل والتعاون والنشاط، ومبنية على قواعد علمية واخلاقية لبناء جيل مثقف، وواعد ومتسلح بأخلاقيات وتربية وتهذيب النفس.

ولحياة أفضل ومستقبل أكثر اشراق، لذلك سنقدم في متن هذه الدراسة المتواضعة، موضوع بحثنا والذي هو بين أيديكم.

الفصل الاول

الإطار العام للبحث

أولاً: مشكلة البحث

يعد الإحساس بالمشكلة التربوية والتي تأتي غالباً من إحساس الباحث نفسه بوجود مشكلة وتولد لديه القناعة ودراستها ووضع اليد عليها واخضاعها للبحث والدراسة.

أكد سبنسر في بحوثه بالتربية والأخلاق بأن التربية والتعليم ونظامه ليس بالمستوى الذي يحقق الرؤية السليمة للعملية التربوية التي هي أساس المجتمع ونواته وكانت هذه في المشاكل الأساسية التي تصدى لها سبنسر في فلسفته ومعالجته للنظام التربوي بعد ان ارتكزت فلسفته بشكل أساسي على فكرة التطور. (حسين، 2016، صفحة 1)

أن التربية والتعليم واحد من سمات العصر الحديث التي من خلالها يحقق الانسان اهدافه، وكلما ازدادت الحياة تعقيداً بسبب عدم الاستقرار والتعرض للمواقف والأزمات المؤلمة، قد يحول دون تحقيق اهداف الانسان وامنياته وتصوراته المستقبلية نحو حياة أفضل، وهذا بطبيعة الحال يؤثر على الاستقرار النفسي الذي هو مصدر مهم لنجاح الانسان. (مايزر، 1990، صفحة 11)

خصوصاً وان سبنسر عاش في ظروف وازمات سياسية أدت الى تدهور الأوضاع العامة والتي اثرت على المجتمع ومفاصل الحياة خصوصاً في القرن الثامن عشر أي في عام 1830م .

ونحن بدورنا كباحثين ارتأينا دراسة التربية والأخلاق عند سبنسر لأنها من المقومات الأساسية والجوهرية في أي مجتمع .

وقد لاحظنا خلال الفترات الماضية و الازمات على الصعيد السياسي وهو رأس الهرم لاستقرار الدولة بكل مفاصلها، والذي أثر علها تعطيل الحياة العملية والعلمية والتي كانت لها المردود السلبي على الجانب العلمي والتعليمي، وهذا ما تناولته وسائل الاعلام والكوادر المتخصصة في اللقاءات والمؤتمرات، وهذا منطلق المؤشرات العلمية التي يستعين بها الباحث في تحديد مشكلته، هي التي تكون مثيره ومؤكدة. (شمسي، 2009، صفحة 3)

لذلك ان التربية والأخلاق من المواضيع المهمة والمثيرة والتي تستحق الدراسة ووضع اليد عليها وتناولها بشكل علمي وموضوعي.

ثانياً: أهمية البحث

أن التربية والتعليم والأخلاق هي من أهم المسائل والقضايا التي اهتم بها اغلب المفكرين والمنظرين والفلاسفة والباحثين، لأنها السبيل الوحيد لإصلاح أي مجتمع والارتقاء به نحو الفضائل والقيم بجانب دراستهم للمواد العلمية.

وهذا ما أكد عليه سبنسر في نظامه التعليمي وأصدر كتابه (التربية) التي بين رؤيته للعملية التربوية، وقدم منهجاً تربوية اصيلا ويرتكز على أسس قوية بحيث تحقق أهدافها (Spencer، 1857، صفحة 7)

أن تكرار الازمات وعدم الاستقرار السياسي يؤثر على مفاصل الحياة قاطبة ويشمل الحركة العلمية والتربوية، وتنتج عنها صعوبة في التكيف مع الوضع بشكل طبيعي، وأشارت بعض الدراسات ان تكرار الازمات والضغط المستمر والشديد يكون أكثر تأثيراً على الافراد ونفسيتهم وعلى المجتمع.

وقد بينت الدراسات هناك علاقة بين الازمات المتكررة التي يغيرها الفرد بسبب الاحداث اليومية المزعجة وبين المصاعب النفسية والصحية التي تؤثر على التربية والتعليم والعمل ومفاصل الحياة. (دافيدوف، 1988).

الغاية من هذا البحث هو سد النقص في الدراسات حول فلسفه سبنسر بشكل عام وفلسفة سبنسر التربوية بشكل خاص، واتاحة الفرصة امام المربين للوقوف على الطرق العلاجية الناجحة في التربية والتعليم والمنظومة التوجيهية الاخلاقية وزرعها في نفوس الفتية الواعدة وشد ازرهم والتخفيف من الضغوط لديهم وتشجيعهم على المثابرة والتحمل والجد لتحقيق الأهداف المنشودة التي لا تأتي الا من خلال تعب ومثابرة وعناء.

لذلك هناك مسوغات عالمية وأسباب ضرورية دعت الباحث للقيام ببحثه الحالي مع التأكيد على خلوا الميدان في مثل هكذا بحوث ثم بيان آخر نتائج بحثه في تطوير هكذا بحوث في العملية التربوية التي قد تستفيد منها سواء كانوا طلبة ام معلمين ام مشرفين ام واصفي المناهج ... الخ

ثالثاً: أهداف البحث

أن أهداف البحث عادةً تشتق من عنوان البحث، أي يجب ان تكون هناك علاقة بين الأهداف والعنوان، لذلك يهدف البحث الحالي التعرف على

1 – التربية عند سبنسر

٢ – الاخلاق عند سبنسر

3– العلاقة الارتباطية بين التربية والأخلاق عند سبنسر

رابعاً: حدود البحث

اقتصرت حدود البحث على المعلومات التي ان تحقق اهدافه كما اقتصرت على اهمية التربية والاخلاق عند هربرت سبنسر.

خامساً: تحديد المصطلحات

اولاً: التربية:

عرفها كل من

١ / افلاطون (427–347ف.م)

هي تفضي على الجسم والنفس كل جمال وكمال ممكن لها (افلاطون، 347–427 ق.م)

2– سبنسر (Spencer, 1862)

هي زرع القيم بالأبناء من خلال معاملة الإباء لأبنائهم من معاني الرحمة والتعاون، وغرس روح المحبة والالفة في ما بينهم، ويكونوا مؤهلين للقيام بهذه المهمة. (Spenser، 1867)

٣– أنصاريان (2004)

التربية هي تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية كي تبلغ كمالها. (انصاريان، 2004، صفحة 43)

ثانياً : الاخلاق

عرفها كل من :–

١ – ابن مسكويه (962م)

أنها افضل الصناعات وهي تجويد أفعال الانسان، وتتغذى النفس على مالا يتغذى عليه البدن، فكلما ابتعدت عن الشهوات البدنية، وتقربت من الفضائل، ترقت الى مراقي الفلاح. (مسكويه، 962م)

٢ – سبنسر (1862)

هي الخير كله في ان يساوق الفرد قانون الجماعة نحو الكمال وان يكون سلوكه في وفاق مع من حوله (أبو بكر، 1965، صفحة 43)

3– الأنصاري (2004)

يتعين على الأبوين ان يتحلى بالأخلاق الكريمة والصفات الرحيمة ونقلها للأبناء، والتي يكون لها تأثير على البعد الروحي والمعنوى، لان الاخلاق هي التقرب للمعارف الالهيه ومفتاح لكل صلاح، وحجب مانعة للرذائل. (انصاريان، 2004، صفحة 195).

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

اولاً: الاطار النظري

التعليم السائد آنذاك اي في عصر سبنسر لا يهتم بالقيمة الفعلية للمعرفة بل يهتم بها يجعل الافراد يكتسبوا المقدار الأكبر من الآخرين أي ان تعليمهم لا يتمحور حول القيمة الجوهرية للمعرفة بل يتمحور حول التأثير الغير الجوهري لهذه المعرفة عن الآخرين اما المنفعة المباشرة لا تراعى في هذا المجال. (الشيباني، 2001، صفحة 295)

نقد سبنسر بشدة تعاليم المدرسين الجامدة، وأوصي بأن اصلاح التعليم لن يكون الا بالفصل بين العلوم الطبيعية اللاهوت من ناحية أخرى (الشيباني، 2001، صفحة 68)

أكد سبنسر ان نظام التعليم بدائي وان مستوى القيم والتقييم لا وجود له اطلاقاً ولن يشعر بيه احد والناس يأخذوا و يقرأوا كتباً ويستمعون لمحاضرات في مواضيع أخرى ويتعلمون الأبناء على لون معين من المعرفة ويتركون الوان أخرى أي الوان المعرفة الأخرى ويسيرون الناس على تقاليد وميل شخصي وتميز دون الاهتمام للمواد الأخرى.

و دعا سبنسر الى ضرورة استثمار الوقت الذي بحوزتهم بعلوم تفيد الناس بحياتهم اليومية وينبغي ان يكون هناك تمتع بحكمه كافية التي تجعل الفرد يُقيس وبعناية بألفه الأهمية للنتائج المترتبة على ذاك وان يكون هناك تحديد للقيم النسبية لفروع المعرفة. (Spenser، 1867، صفحة 14)

وهناك دراسة تشير إلى ان فرنسيس بيكون كيف عمل على انشاء منهج جديد يكون هدفه الاخذ بيد الانسان نحو التقدم والفائدة العلمية والسيادة على الطبيعة وهذا المنهج الجديد بعهد الطريق للإنسان لكي يستطيع بواسطته كشف ظواهر بمنهج الكشف الاستقرائي الطبيعة والسيطرة عليها أي ان يريد ان يستبدل منهج البرهان القياسي بمنهج الكشف الاستقرائي وقد تأثر سبنسر به. (عصام، 2012، صفحة 251)

وفي ضوء نظرية سبنسر حدد خمسة اهداف للحصول على حياة كاملة وهذه الأهداف ترتبط بفعاليات خمسة وهذه الفعاليات:-

1. فعاليات تساعد على كيفية المحافظة على الحياة .
2. فعاليات تساعد على تأمين ضروريات الحياة التي تكمل الانسان بصورة غير مباشرة للمحافظة على الحياة.
3. فعاليات تستهدف تربية وتأديب النسل.
4. فعاليات تساعد على المحافظة على العلاقات الاجتماعية والسياسية.
5. فعاليات تملأ وقت الفراغ من الحياة والمكرسة لأشباع الاذواق والعواطف

لذلك فأول الأهداف هي :-

1. المحافظة على الحياة.
2. تمكين الفرد من ضمان ضروريات الحياة أي اكتساب مهنة يعيش بها.
3. الاعداد للزوجية والأبوة الصالحة والتربية الأطفال وتهذبيهم.
4. التنمية البشرية والمحافظة على العلاقات الاجتماعية والسياسية.
5. تحقيق التمتع والاستعمال الحكيم لوقت الفراغ . (ناصر، 1977، صفحة 443)

وأكد سبنسر على علم الاخلاق وهذا النوع من المعارف ليس من الممكن ان يتسلح به الناس وهم يهملون العلوم المهمة وعدم تدريب الطلاب على هذه المسؤولية الكبيرة واعدادهم على نحو يُمكنهم من تربية أبنائهم على نحو أخلاقي سليم.

وذلك لان النظام التعليمي آنذاك لا يتضمن ولا كلمة واحدة حول كيفية تربية الأولاد ولذلك نقد هذا النظام بشدة وأكد ان لا يترك جيل جديد بأكمله للأعراف والتقاليد والعادات التي لا تقوم على عقل ولا منطق وان يتربى هذا الجيل على الرغبات والاهواء الشخصية وأفكار المربيات الجاهلات. (Spenser، 1867، الصفحات 46-48)

فهو يدعوا الى ضرورة انارة عقول الإباء والامهات خاصة بالأخلاقيات المنزلية وما يتوجب علينا من وضعهم في حال يستطيعون معها مواجهة تربية أبنائهم وذلك عن طريق تعليم القوانين الطبيعية للنفس والجسد. (عبد الله، 1978، صفحة 485)

ويعتبر علم الاجتماع من العلوم المهمة في ترسيخ الاخلاقيات والقيم في نفوس الناشئة ، لأنه من العلوم التي تهيئ الفرد ليكون مواطناً صالحاً ويخدم أبناء وطنه وتهيئة وتعده لأداء واجبه الأخلاقي لان المعلومات التي تقدم للطلبة معلومات غير نافعة مطلقاً ولا تصلح لأغراض التوجيه الأخلاقي لأنها فقط تهتم بسيرة الملوك الذاتية واعمالهم ومعرفة المؤامرات والمكائد والاستيلاء غير الشرعي على العرش والصراعات والنزاعات حول السلطة ومعرفة أسماء الجنرالات والضباط التي تحت امرة الملوك ومعرفة المعارك، فهذه المعلومات لا تمكن ان تؤدي بأي حال من الاحوال ان تؤثر في سلوك الافراد والحياة وهي لان تساعد أن يحيى الفرد على نمو تام

فالتاريخ الذي يجب معرفته ونعرفه هو التاريخ الطبيعي للمجتمع فنحن بحاجة الى جمع الحقائق التي يمكن ان تساعدنا على معرفة وادراك كيفية نمو الامة وتنظيم نفسها وتحصنها الأخلاقي والعلمي.

ثانياً: الدراسات السابقة

اطلع الباحث على عدد من الدراسات العربية والأجنبية التي تناولت التربية والأخلاق والتي يمكن الإفادة منها في البحث الحالي :-

١-دراسة سبنسر (1862)

الشعور بالسعادة واللذة يؤثر على حركة الذهن بشكل إيجابي ويحث الذهن على الحركة والنشاط بدون شك وهذه الدراسة طبقت على عينة من الطبيعة ومن خلال النتائج وجد ان الطلبة عن قراءتهم او سماعهم او مشاهدتهم لشيء يرغبه يرسخ في الذاكرة ولا ينسى لان الملكات في حالة اللذة تنشط اما حالة الاكراه في الطالب يجد نفسه في حالة من الخوف متى يصبح عاجزاً عن اتقان الدرس اما الرغبة في الدرس والشعور باللذة فلها فضل في تهذيب الاخلاق لان اللذة للدرس او الكراهية نتائج سلبية أي شتان بين التلميذ الذي يسوده القهر وتدفعه الكراهية للتشاؤم واليأس وهي من اكبر عوامل الأنماط الخلقي فترى في طباعه القسوة والخشونة وبين الذي تدفعه اللذة وينعشه السرور و يملئ املاً بالمستقبل ويحلم بحياة سعيدة. (السكري، 1928، صفحة 194)

٢- دراسة لينت واخرون (Lent, et.al،1984)

استهدفت الدراسة التعرف على النجاح والمثابرة لعينة من الطلبة وقد توصلت الدراسة ان الطلبة الذين يتلقون التعليم ويحققون نجاحات وامتلاكهم لفعالية ذات مرتفعة هم من اللذين يتلقون التشجيع والتحفيز سواء من الجانب التعليمي والأخلاقي من قبل الاسرة والمؤسسة التعليمية.

٣- دراسة انصاريان (2004)

استهدفت الدراسة مجموعة من العوامل ووجد في دراسته ان التقوى والأخلاق الالتزام بمثابة المرتكز وللبنات الأساسية التي يقوم بها بناء الاسرة والمجتمع، لان الاسرة التي يسدوها التفاهم والمستوى التعليمي والأخلاقي. (انصاريان، 2004، الصفحات 29-35)

الفصل الثالث

تطور الأخلاق والضوابط الاخلاقية

اولاً: تطور الأخلاق

السلوك الأخلاقي عند سبنسر هو الذي يدعم حياة الفرد وحياة الآخرين ويطورها، اما السلوك الغير أخلاقي فهو السلوك الذي يمنع تطور حياة الفرد وحياة الآخرين حيث ان نسبة إمكانية التطور الأخلاقي يصل الى اعلى نسبة من نسب تحسين حياة الافراد والى نسلهم ومجتمعاتهم ايضاً. (وليم، 2010، صفحة 452)

والسلوك المتطور عند سبنسر يضعه "سلوك خير" وهو الذي يحقق للافراد لذة في نسلهم ومجتمعهم، اما السلوك الأقل تطوراً فهو سلوك سيء لذلك التطور يصل لذروته مع ارتفاع مستوى القدرة على ديمومة الاجناس من خلال مراعاة النسل أي الذرية من بلوغ مرحلة النضوج ليتلاءم مع الحياة التي تتسم بالكمال والديمومة .

لذلك جعل سبنسر السلوكيات الأخلاقية الجيدة ثلاثة وهي:-

أولاً : سلوكيات تطورت وتكيفت على نمو مناسب أدت الى التمكن من المحافظة على الذات.

ثانياً: سلوكيات تكيفت على نمو ملائم أدت الى التمكن من المحافظة على الذرية وجعلهم قادرين على العيش.

ثالثاً: سلوكيات تساعد على تطوير حياة الآخرين وتكاملها وتتسم هذه السلوكيات بسمة الجودة. (Spencer، 1867)

وعلى هذا الأساس رأى سبنسر ان من الضروري ان نفسر السلوك الأخلاقي ونحلله ضمن الجانب الجسمي او البدني، لان هناك تطوراً بين التطور الأخلاقي والتطور البدني العقلي، فالسلوك عند سبنسر يتألف من مجموعة حركات مدمجة مع بعضها، ومن خلال ملاحظة سبنسر للكائنات الحية التي تنتمي الى درجات مختلفة من التطور وجد والتناغم وبمقدار متزايد من التغاير وعندما انتقل الى الاجناس البشرية الأدنى الى الاجناس البشرية الأعلى، وهذا الأمر ينطبق على ما انتقل سبنسر في ملاحظته من الأدنى الى الأعلى من حيث السلوك الأخلاقي وجد ان السمات التي ذكرناها من الانسجام والتناغم والتغاير متزايدة في الاجناس البشرية الأعلى، فضلاً

عن ذلك وجود مقدار متزايد من التناغم والدقة والتباين في السلوك والحركات المعقدة هو أمر أساسي وضروري للمحافظة على التوازن الحركي اذا وجد التوازن في السلوك ضعيفاً من الكائنات ذات المستوى المنخفض من التطور البدني والعقلي . اما الكائنات ذات التطور المتقدم التي تتمتع بالقدرة البدنية والذكاء فيكون توازنها السلوكي والحركي اكثر ثباتاً واكثر قدرة على الاستمرار والصمود في وجه الاحداث المختلفة، اذا يستنتج سبنسر ان التوازن الحركي اكثر انتظاماً وديمومة في الجنس البشري عن بقية الاجناس والكائنات الحية وان هذه الديمومة والانتظام يكونان في الاجناس البشرية الأكثر تقدماً اكبر مما هو عليه في الاجناس البشرية الأدنى. (spencer، 1879، الصفحات 46-75)

أما الاعتبارات البيولوجية عند سبنسر شأنها شأن الاعتبارات البدنية فقد وجد ان المنظور الجسماني يقوم على انه توازن حركي ويمكن ان يعرفه على وفق المنظور البيولوجي بأنه توازن في الوظائف بمختلف أنواعها ومقاديرها وتركيبها وتتكيف مع الأنشطة المتعددة التي تكون الحياة وتحافظ عليها والتكيف يعني بلوغ الهدف الذي يميل الى تطور السلوك بشكل دائم وتحقيقه. (spencer، 1879، الصفحات 99-100)

فعلم الاخلاق من خلال المنظور او الجانب المادي والجانب البايولوجي عند سبنسر، هو علم السلوك الذي يسلكه. مجموعة من الأشخاص الذين يعيشون مع بعضهم في مجتمع واحد، وكل واحد منهم يقوم بأداء أنشطة يومية تضمن بقائه على قيد الحياة، وهذه النشاطات الأخلاقية الأخ لا تتحقق الا بالتربية فيجب على أي شخص في مجتمع صغير او كبير ان يدرك أهمية الحفاظ على صحة جسده وسلامته ويعده سلوكاً تربوياً واخلاقياً فسبنسر يشدد على الاخلاق الجسدية في التربية البدنية فيجيب على المربي والأب والمعلم ان يوجه سلوك الأبناء من خلال التربية للمحافظة على صحتهم ويعدون هذا السلوك سلوكاً اخلاقياً بالدرجة الأولى فكلما تطور هذا السلوك سلوكاً اخلاقياً بالدرجة الأولى فلكما تطور سلوكه الأخلاقي ازداد حرصه في المحافظة، أما الانسان الأقل تطوراً فيكون تفكيره محدداً بلذة وقتية والعكس السلوك الجيد هو الذي يجلب لذة على مدى بعيد واعتبر سبنسر الهمجي هو في ادنى مستوياته يبدد طعامه اليومي ويجوع غداً اما المتحضر أفكاره تكون بعيدة ومستقبلية وتمتلك الوعي الأخلاقي والتربوي وافكاره عليا اكثر بعداً . (وليم، 2010، صفحة 435)

ثانياً : الضوابط الأخلاقية

هناك ثلاث طرق تربوية اكد عليها سبنسر لاكتساب الضبط الأخلاقي:

1. طريقة الرادع والخوف الديني.
2. الرادع والخوف السياسي.
3. الرادع والخوف الاجتماعي.

وهذه الطرق الثلاثة ستدفع الانسان بشكل صارم الى اخضاع رغباته الانية في سبيل المسرات المستقبلية فأن اقناع أي شخص عن القيام بشيء تدعوه رغبته الانية او العابرة الى القيام بها خوفاً من أن يتعرض بعد ذلك الى عقوبة سياسية او انتقام او نبذ اجتماعي على الرغم من ان هذه الروادع الثلاثة قد تطورت شيئاً فشيئاً مع تطور المجتمع الا ان سبنسر يعد هذه الروادع مصطنعة وليست طبيعية. (spencer، 1879، صفحة 116)

قد جعل سبنسر طريقته في التربية وتقويم السلوك الأخلاقي باستخدام (الرادع الذاتي او المانع الذاتي) حيث رأى ان الموانع الذاتية المترابطة التي تتكون داخل الفرد الواحد عبارة عن تجسيد للنتائج المستقبلية وان هذه النتائج تنتج بشكل طبيعي وليست ناتجة عن طبيعة العقوبات القانونية او العقاب الإلهي، واكد ان المانع الحقيقي الذي يمنع الانسان في ارتكاب جريمة القتل لا يكون من خلال التصور للنتيجة القانونية وهي عقوبة الإعدام ولا من خلال العذاب الأليم في الاخرة ولا من خلال الكره من قبل الأصدقاء والمجتمع بل يتمثل في تصور النتائج الطبيعية بالضحية وانهاء جميع إمكانيات حصوله على السعادة وإلحاق المعاناة بأفراد اسرته وضياع ممتلكاته وعلى النحو نفسه فان المانع الأخلاقي الذي يمنع الفرد من السرقة لا يتمثل في الخوف من السجن او الغضب الإلهي او الاحتقار أو العار الاجتماعي بل يتمثل في التفكير الذي يلحق بالشخص الذي سرقت ممتلكاته مصحوباً بأدراك الاضرار العامة الناجمة عن عدم احترام حقوق الملكية. (spencer، 1879، الصفحات 119-121)

وهذا المانع الأخلاقي الذاتي والحقيقي لا يأتي الا بالتربية الذاتية والعقوبة الطبيعية وتنمية المشاعر والاحاسيس بالالتزام الأخلاقي لديه من دون الخوف من أي شيء اخر وانما خوفه من ارتكاب الأخطاء الأخلاقية وتأنيب ضميره اولاً فضلاً عن ذلك سيتعلم ان أي خطأ سيعمله سيلحق الضرر بالآخرين ويسبب نتائج مستقبلية ضارة فيجب علينا ان نقوم بزرع قيود أخلاقية ذاتية داخل نفوس الأولاد الصغار لأنها اقوى بكثير من القيود الاصطناعية. (حسين، 2016)

وأكد سبنسر وهو من اتباع افلاطون القائل " ان الطفل في صغره يميل الى الظلم والسرقة والكذب .. الخ " كأسلافه المتوحشين (العزاوي، 2013، صفحة 20)

وسبنسر لا يقبل باعتقاد روسو الذي قال " ان جميع الأطفال يولدون خيرين وان المجتمع هو الذي يفسرهم ". (روسو، 1956: 27)

*وعلى هذا الأساس اكد سبنسر مسألة تنمية المشاعر والاحاسيس بالالتزام الأخلاقي الذاتي لدى الأطفال عن طريق التربية امراً متبعاً على المربين والوالدين.

ثالثا : ماهية الانانية والأخلاق النسبية والمطلقة عند هربرت سبنسر:

الانانية كالمعتاد سلوك غير مستحب، والانسان الذي يفضل نفسه على الآخرين نقول عنه شخص اناني لا يفكر بالآخرين وسبنسر لا يقصد هنا الانانية المفرطة وانما الانانية العقلانية لان الانسان بحاجة الى مقدار من الانانية لكي يتمكن من المحافظة على حيوية الذهن ونشاط الجسد ويؤدي ذلك الى رفع مستوى سعادة ذريته حيث ان ورث الذرية لهذه الصفات الجسدية والفكرية تجعل الحياة اكثر سهولة والمسرات فيها كثيرة هذا من جهه ومن جهه أخرى نجد الأشخاص الذين صحتهم متردية سوف تورث التعاسة لذريتهم كما ان الفرد الذي يعتني بنفسه بحيث يحافظ على معنوياته يصبح مصدراً للبهجة لكل من حوله في حين ان الكآبة التي ترافق الحالة الصحية المتردية تنتقل من الفرد الى افراد اسرته وأصدقائه، فالفرق بينهم ان الفرد الذي يهتم بذاته يتمكن من المحافظة على قدرته في مساعدة الآخرين في حين ان الافراط في اهمال الذات لا يؤدي الى فقدان قدرته على مساعدة الآخرين بل يؤدي الى أعباء كبيرة على عاتقهم و بذلك نصل الى نتيجة وهي إن الزيادة في الايثار تؤدي الى زيادة مستوى الانانية لأنه يصبح شخصاً غير قادر على مساعدة نفسه. (spencer، 1879، الصفحات 110-199)

والايثار و الانانية عند سبنسر مرتبطتان مع بعضهما منذ بدء الخليقة أي الانانية معتمدة على الايثار والايثار معتمداً على الانانية وعلى مدار التطور ازداد نطاق الخدمات المشتركة التي تعتمد بشكل أساسي على ديمومة العلاقات الاعتيادية بين الجهود المبذولة والمنافع المتحققة.

واراد سبنسر انهاء أي صراع بين مصلحة الفرد والمصلحة العامة ويجب علينا الا نبالغ في ايثار او اثرة الانا، اذا زدنا في احداهما اضفنا الثانية والهدف من هذا يجب ان نوفق بين الاثرة والايثار وكلما ((رقيت امة لديها الأثر والايثار)) بل يرى خيره في حبه للناس ويره نفسه عضواً في جسم، فائده العضو يفيد الجسم وفائدة الجسم يفيد العضو. (spencer، 1879، الصفحات 201-211)

ورأى سبنسر ان السلوك المثالي او السلوك المطلق او الاخلاق المطلقه لا يمكن ان تحصل ونحن هنا مضطرين لان يكون مقياس الاخلاق نسبياً.

ويمكن من خلال الاخلاق النسبية تحديد أي سلوك بأن يكون سلوكاً صائباً او مخالطاً، لأنه لا يمكن لاحد ان يسلك السلوك المثالي في الظروف الحالية لسببين هما:-

أولهما: إن وجود انسان مثالي ومجتمع غير مثالي في الوقت نفسه والمكان أمر مستحيل لا يمكن وجوده على ارض الواقع هو اشبه بالاعتقاد وبأن من الممكن لأبوين زنجيين ان ينجبا طفلاً ابيض البشرة وطالما يتفق الجميع ان الشخصية تنتج عن التكوين الموروث فيجب ان لا تختلف عن حقيقة مفادها /بما ان كل فرد في أي مجتمع انحدر من اصل يسبقه بعدة أجيال ويتفرع في كل انحاء المجتمع ويساهم في تكوين طبيعته لذلك لابد من ديمومة ذلك المجتمع الذي يمنع كل فرد من الوصول الى حالة او صوره مثالية.

ثانياً: إن السلوك المثالي الذي يهتم به بالفلسفة الأخلاقية هو السلوك غير ممكن بالنسبة للإنسان المثالي الذي يعيش بين مجموعة من الخونة معدومي الذمة والضمير ولا تسمح له طبيعته بإلحاق الأذى بالآخرين اذا كان كل ممن حوله لا يعرفون قانوناً سوى قانون الغابة ولابد من وجود تطابق بين سلوك كل فرد من أفراد أي مجتمع وسلوك اقرانه ولاشك في ان نمط السلوك المغاير لأنماط السلوك

السائدة لا يمكن ان ينجح في البقاء ولابد من ان يؤدي في النهاية أي نهاية المطاف الى دمار الفرد أو ذريته او كليهما. (spencer، 1879، الصفحات 275-280)

لابد ان ننظر الى الانسان المثالي على انه يعيش ويتواجد في مجتمع مثالي، فهدف سبنسر خلق مجتمع مثالي في المستقبل فيه توازن اجتماعي لان التوازن الاجتماعي ذروة التطور التي نريد ان نصل اليها في المستقبل.

الفصل الرابع

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات

بعد الفراغ من كتابة هذا البحث، تبيّن الآتي:

1. التربية عند سبنسر مقصودة لطبقة معينة وقد لا يتسنى للجميع ادراكها فهي ليست تربية عامة لكنها تربية للتزاحم والتنافس بين الافراد أصحاب الرقي المادي.
2. السلوك الأخلاقي عند سبنسر هو السلوك الذي يدعم الحياة للفرد ويطورها ويقدمها .
3. ماهية الحياة ليست سكونيه وانما هي حركية في تطور لا يتقطع، فأي نشاط أخلاقي لابد ان يتجه نحو تقدم مجتمعه.
4. زرع البذور الحية للاستقلالية الذاتية الفردية أي الأفكار تختلف من شخص لآخر تبعاً لزمانه ومكانه .
5. الاخلاق نسبية وليست مطلقة أي لا يمكن ان تتحقق بالظروف الحالية وذلك تكون قصيرة بتغير زمانها ومكانها.
6. العلاقة الترابطية بين الاخلاق والتربية قائمة على ان كلما كان الانسان قوي كلما قام بتهذيب نفسه وكلما هذب نفسه وذاته يكون في خلق جديد .
7. مقالاته لتقدير المنفعة والحياة المادية عند سبنسر، بينما التربية تصقل الفرد وترفع ذاتيته .

التوصيات او المقترحات :

1- أن تتجه وزارة التربية و التعليم العالي الى ادراج مادة فلسفة التربية كمادة دراسية في المناهج الدراسية .

2- تزويد المكتبات بمصادر و مراجع تخص فلسفة التربية والحث على ترجمة الكتب التربوية و الاخلاقية وخاصة كتاب هربرت سبنسر (المعطيات الاخلاقية ، التربية) لتعم الفائدة .

3- اقامة دورات تدريبية للمعلمين للتعرف على مفهوم الاخلاق وعلاقته بالتربية ومؤسسي التربية الاخلاقية و منهم هربرت سبنسر و دوره في تطوير المبادئ الاخلاقية والاستفادة منها في عملية التربية الاخلاقية للأجيال القادمة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

الخاتمة

إن المعرفة الأكثر قيمة عند سبنسر هو العلم الذي يُعد المفتاح الأساسي لكل المعارف واكد على العناية بالعقل والجسد معاً، كما اعتبر الاهتمام بالعقل دون الجسد حماقه كبرى واعتبر التربية البدنية ضرورية أساسية وذلك لان القوة الجسدية أول أسباب النجاح للإنسان في حياته وتساعده على تحمل الأعباء ومشكلات الحياة، فكلما كانت القوة الجسدية في زيادة كلما كانت قدرته على البقاء اكثر فالقوة الجسدية للأبدان ضرورية سوى في الحرب او السلم .

وكذلك تربية الفرد تربية اجتماعية صحيحة تساعده على التكيف في مجتمعه لذلك كانت غاية سبنسر في منهاجه التربوي زيادة قدرة الفرد على المساهمة في تطوير مجتمعه وليكون له دور فعال في المجتمع فالتربية هي تعلم الفرد كيف يكون مواطناً صالحاً .

طبق هربرت سبنسر قانون التدريس الخلقي عن طريق الجزاء الطبيعي أي دع الطفل يتحمل النتائج الطبيعية لأعماله من دون تدخل الانسان ليقوم بعملية الدفاع أو بعملية العقاب والعقاب الطبيعي له منافع عديدة واهمية بالغة ووصفه سبنسر بالأجدر والانفع .

ووقف سبنسر ضد أي قانون او نظام سياسي يقيد الحريات الشخصية فوقف ضد القوانين والتشريعات الحكومية التي تدفع الفرد نحو العبودية.

ووقف ضد النظام الاشتراكي والشيوعي لان النظاميين يقومان على أساس التعاون الاجباري وليس على أساس التعاون الطوعي .
ومن أبرز المفكرين والفلاسفة الذين ناصروا هربرت سبنسر واتفقوا معه في اغلب آراءه في التربية الاخلاقية هم كل من جون فيسك و وليم جراهام سّمنر فلقد أيد نظرية سبنسر التطورية اما الفلاسفة البراجماتيين فكان لتأثير سبنسر على فلسفتهم تأثيراً واضحاً .

المصادر العربية

احمد بن محمد يعقوب مسكويه. (962م). *كتاب التهذيب والاخلاق وتطهير الاعراق.*

ان مايزر. (1990). *علم النفس التجريبي.* (ترجمة خليل ابراهيم البياتي، المحرر) بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر.

حسين انصاريان. (2004). *الاسرة ونظامها في الاسلام* (المجلد الأولى). دار العرفان.

ذكرى أبو بكر. (1965). *تاريخ النظريات الاخلاقية وتطبيقها العملية.*

زكريا جميل عصام. (2012). *مصادر فلسفية* (المجلد الأولى). عمان: دار المسيرة.

عبد الامير عبود شمسي. (2009). *منهج كتاب البحث.* بغداد: جامعة بغداد.

عبد الكريم السكري. (1928). *تاريخ المذاهب في التربية ونزعة سبنسر* (المجلد الأولى). القاهرة: مطبعة الاستقلال.

عبد الكريم عبد الله. (1978). *التربية عبر التاريخ.* بيروت: دار العلم للملايين.

عمر محمد الشيباني. (2001). *تطور النظريات والافكار التربوية الدار العربية للكتاب* (المجلد الثالثة).

كلي راتب وليم. (2010). *تاريخ الفلسفة الحديثة.* (ترجمة محمود سيد احمد، المحرر) بيروت.

لندا دافيدوف. (1988). *مدخل علم النفس.* (ترجمة السيد طواب واخرون، المحرر) القاهرة: دار ماكجروهيل للنشر.

محمد ناصر. (1977). *الفكر التربوي* (الإصدار ج1، المجلد الثانية). الكويت: وكالة المطبوعات.

نسرين خليل حسين. (2016). *فلسفة التربية عند هربرت سبنسر.* بغداد: الجامعة المستنصرية.

نشار مصطفى. (2001). *اعلام الفلسفة حياتهم ومذاهبهم* (المجلد الاولى). عمان: دار المسيرة.

هبة عادل العزاوي. (2013). *اضواء على فلسفات حديثة ومعاصرة* (المجلد الأولى). بغداد: دار الفراهيدي.

المصادر الانكليزية

Herbert Spencer .(1857) .*Ltslaw and causes* .Vol.67: the west minster Review.

Herbert Spencer .(1867) .*Education* .Vol.67 A.L.Buvt.Company publishers.

Herbert spencer .(1879) .*On Line Libruvt of Libevty.*

Abdullah, Abdul Karim (1928), Education Through History, Dar Al-Ilm Lil-Maliyain, Beirut, 1st edition, 2nd edition (1978).

Abu Bakr, Zikra (1965), The History of Ethical Theories and Their Practical Application, Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Al-Azzawi, Heba Adel (2013), Lights on Modern and Contemporary Philosophies, Dar Al-Farahidi, Baghdad, 1st edition.

Al-Shaibani, Omar Muhammad (2001), The Development of Educational Theories and Ideas, Arab Book House, 3rd edition.

Al-Sukkari, Abdul Karim (1928), The History of Doctrines in Education and Spencer's Tendency, Al-Istiqlal Press, Cairo, 1st edition.

Ansarian, Hussein (2004) The Family and its System in Islam, Dar Al-Irfan. 1st edition.

Davidoff, Linda (1988), Introduction to Psychology, translated by Sayyed al-Tawab et al., 3rd edition, International Publishing House, Cairo.

Hussein, Nisreen Khalil (2016), Philosophy of Education according to Herbert Spencer, Ph.D., Al-Mustansiriya University

Ibn Miskawayh, Ahmed bin Muhammad Yaqoub (1900), The Book of Politeness and Ethics, Department of Tourism Culture, Abu Dhabi.
Issam, Zakaria Jamil (2012), Philosophical Sources, Dar Al-Masirah, Amman, 1st edition.
Muhammad Nasser (1977), Educational Thought, Publications Agency, Kuwait, vol. 1, 2nd edition.
Mustafa, Al-Nashar (2001), The Notables of Philosophy, Their Lives and Doctrines, Dar Al-Masirah, Amman, 1st edition.
Myers, N. (1990), Experimental Psychology, translated by Khalil Ibrahim Al-Bayati, Dar Al-Hekma for Printing and Publishing, University of Baghdad.
Rousseau, Jean-Jacques, (1956) Emile or Education, translated by Adel Zaatar, Dar Al-Maaref, Cairo.
Shamsi, Abdul Amir Abboud (2009), Research Book Methodology, University of Baghdad, booklet.
William, Kli Ratib (2010) History of Modern Philosophy, translated by Mahmoud Sayyed Ahmed, Dar Al-Tanweer, Beirut.